أ. مصطفى بوجملين
قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب واللغات

المادة: النقد الموضوعاتي
المستوى: الثالثة ليسانس
التخصص: دراسات نقدية

المحاضرة الثامنة
جان ستاروبينسكي
Jean Starobinski

ناقد وطبيب نفساني سويسري، درس في جامعة جنيف، حيث أحرز دكتوراه الطب ودكتوراه الآداب. اشتغل أستاذا مساعدا للأدب الفرنسي في جامعة جنيف؛ ثمّ أستاذا في جامعات بلتيمور، جنيف، كوليج دوفرانس، وزيوريخ...

وبخصوص مؤلفاته النقدية، فهي كالآتي:

1- مونتسكيو بقلمه

2- جان جاك روسو -الشفافية والحائل-

3- العين الحيّة

4- العلاقة النقدية

5- اختراع الحرية

6- الكلمات تحت الكلمات -جناسات فرديناند دوسوسير التصحيفية-

7- ثلاثة هيجانات

8- مونتين حركيا

9- المنخوليا في المرآة -ثلاث قراءات لبودلير-

10- لوحة التوجيه -الكاتب وسلطته-

11- الدواء والداء

13- جمال العالم -الأدب والفنون

14- الفعل وردّ الفعل

تميّز ستاروبنسكي بالإطلاع المعرفي الواسع، وذلك ضمن مجالات علمية متعدّدة، وهذا ما أكّده (.جيرار جنجمبر)؛ والذي رأى هذا التكامل المعرفي في خطابه النقدي المستمدّ من الطبّ، والطبّ العيادي، والتحليل النفسي، واللسانيات، وتاريخ الفن، وعلم الجمال والتاريخ الأدبي. وهو الأمر الذي جعل (ج.إ.تادييه) واصفا إيّاه بالناقد الأكثر انفتاحا على العلوم الانسانية، ضمن نقاد مدرسة جنيف، وهو وصف تجمع عليه جلّ الدراسات التي تناولت كتاباته النقدية المثبتة لذلك.

ولعلّ أهم كتاباته النقدية التي تؤكّد هاته المنهجية التكاملية مدوّنته الموسومة بـ(العلاقة النقدية)، والتي تقع في ثلاثة أقسام، قسم أوّل في (اتجاه النقد) يخوض في مسائل العلاقة النقدية، والقراءة الأسلوبية لدى يوسبتزر، وتطوّر المؤول، حيث يتمظهر ستاروبنسكي في صور شتّى منظّرا نقديا، وعالما أسلوبيا، وناقدا هيرمونيطيقيا، وقسم ثان، يبرز خلاله في هيئة الناقد الفينومينولوجي، الذي يخوض في امبراطورية المتخيّل. وقسم ثالث، يحتكره ستاروبنسكي المحلّل النفساني للأدب، وعنوانه "التحليل النفسي والأدب".

كما يعدّ ستاروبنسكي من بين المبدعين والنقاد الذين تجاوزا النمطية الكلاسيكية، التي صاغها الذوق القديم، فراح يبحث عن براهين منهجية في صيغة تقاربية تراعي الجوانب الإبداعية والتلقي حيث أن النص في نظره لا

يكون نصا إلا إذا احتمل التخريجات، وأمست الذات تؤسس أنطولوجيتها من خلال المعنى المطروح، وهذا الموضوع أو المعنى، أو الشكل أو اللغة، أو التلقي، لا يأخذ شعريته إلا من خلال البعد الرؤيوي، لذا عمل على الربط بين البعد النفسي، والبعد الأدبي، والفني.

وتكمن وظيفة النقد الأدبي لدى ستاروبنسكي في أن يزيدنا علما وألا يقف عند الحدّ الذي يقف عنده التحليل النفسي، فلا يكفينا الاطّلاع على سوابق الآثار الفنّية؛ أي على الإنسان بوصفه كائنا طبيعيا أو اجتماعيا، بل ينبغي أن نطّلع عليه في قدرته على تجاوز ذاته؛ أي في كلّ ما أبدع من إنتاج جعله يغيّر من الأقدار التي رضخ لها كإنسان عادي.

وبخصوص الممارسات التحليلية لدى ستار وبنسكي فإنّها تتموضع داخل أعماق تفترض معرفة جيّدة بالنظريات الفرويدية، إذ يصبح الخفيّ الوجه الآخر للظهور والحضور وتصبح سلطة الغياب تشير إلى فضاء سحري لانسياق نظرتنا وراء فراغ يتشكّل في الشيء المغري. فلقد اعتمد الناقد على فكرة "النظرة" ضمن أعمال (روسو) و (كورني) و (راسين) في استيعاب الأعمال التي طبّقها فرويد على النقد الأدبي، باعتبار أنّ النظرة تعبير عن كثافة الرغبة.

ويجدر التنويه هنا أنّ اشتغال النقدي السيكولوجي عند ستاروبنسكي لا يعني ممارسة التحليل النفسي الفرويدي؛ فهو يعترف في كتابه (جان جاك روسو: الشفافية والعائق) بعدم ميله إلى التقصّي النفسي والطبّي المتعلّق بالأدباء والذي يمارسه نقاد يدفعون بهذه الجثث إلى طاولة التشريح، وكأنّهم يستعدّون للكشف عن الدافع السرّي للأعمال الأدبية في أحد الانسجة المعطوبة، ذلك لأنّ الفنّان وإن ترك دوما بقايا جثّته، فإنّنا لا ننفذ أبدا من خلالها إلى فنّه.

وتتمّة للمنظور التحليلي لدى ستارابونسكي فإنّنا نلفي الناقد (حميد لحميداني) مجلّيا لمهمات للنقد الموضوعاتي؛ -والتي استخلصها من بعض مقولاته-، والمتمثّلة في الآتي:

- دراسة البنية الرمزية والدلالية، وذلك مع الحرص على أن يكون التحليل محايثا للنصّ على الأقل في هذا الجانب بالذات.

- تأويل العمل الأدبي، أي إظهار موقف كاتبه تجاه العالم الذي يواجهه.

- الاهتمام بما هو خارج النصّ عند اللزوم، وتوظيف ذلك في فهم موقف الكاتب.